



قراءات صيفية:

البعد الديني وصورة اليهودي في الرواية الغربية

لتولستوي، والبؤساء لفكتور هوجو، ومرتفعات ويزرنج لإميليا برونيتي، وجين إير لشقيقتهما شارلوت برونيتي.. وغيرها.

أتيح لي في هذا الصيف أن أستعيد قراءة ما سبق لي قراءته في الصبا، بالإضافة إلى مجموعة أخرى مهمة منها: رواية المسبحة للكاتبة فلورنس باركلي، ومجموعة أرواح هائمة القصصية، ورواية الخاطئة لسومرست موم، ورواية إلى سوان لمارسيل بروس، والمفتون، والحب هو الكنز لبربارا كارتلاند، وحذار من الشفقة، والخريف لستيفان زفايج، بالإضافة إلى كتاب نقدي تحليلي للكاتب الفرنسي أندريه

(١)

وسلسلة كتابي تخصصت في نشر الأعمال الأدبية الشهيرة التي طبعت التاريخ البشري الحديث، وأثرت في ثقافات شعوب الأرض بسبب انتشارها الواسع في أقطار العالم، وتركت تأثيراً واضحاً في نفوس قرائها على مختلف لغاتهم وأعراقهم وقومياتهم.

كنت في صباي الأول قد قرأت بعض كتب هذه السلسلة من الروايات العالمية مثل «الطريق إلى بئر سبع» للكاتبة الإنجليزية المتعاطفة مع قضية فلسطين إيثيل مانين، وقرأت الحرب والسلام، وأنا كارنينا

في غمرة الأحداث التي تمر بالأمة، يحرم المرء من قراءة الأدب الذي يحب، بحكم انشغاله بقراءات الشؤون العامة وما يرتبط بها، وكتابة ما يعن له متابعة وتحليلاً وتعليقاً على ما يجري. وفي صيف ٢٠١٥م، تسنى لي الحصول على مجموعة من مترجمات مطبوعات «كتابي» التي كان يصدرها حلمي مراد في خمسينيات القرن العشرين.



د. حلمي محمد القاعود- مصر

موروا تناول فيه مجموعة من الروايات الفرنسية الشهيرة كتبها جان جاك روسو، وستندال، دي لا كلو، وجوستاف فلووير، وبلزك، ومارسيل بروست، ومدام دي لافاييت.

(٢)

حفزني على قراءة هذه المترجمات ما لمست فيه من دقة في التعبير، وطلاوة في الصياغة، وحرص على اللغة في نصاعتها وقوتها، والاهتمام الواضح بإخراج النصوص خالية من أخطاء الطبع والتصحيح والإملاء، ونادراً ما يقع القارئ على خطأ واحد في كل خمسين صفحة.

ويعد ناشر السلسلة حلمي مراد من أفضل المترجمين بحكم نشأته في مرحلة ما قبل الخمسينيات من القرن العشرين، وهي مرحلة شهدت العهد الذهبي للأدب الحديث، وخاصة الترجمة، وكان لدى العرب عدد ممن تفاخر بهم الأمة في مجال الترجمة منهم: بدران، والسباعي، والقصاص، وزعيتر، والدروبي، والزيات، وغيرهم..

كان الفريق الذي يعمل في الترجمة مع حلمي مراد يضم عدداً من كبار الأدباء المعروفين بعمق ثقافتهم وموسوعيتهم،

وبعضهم كان يترجم من دون أن يذكر اسمه، كان يتصدر أهم الترجمات مع الناشر، الدكتور نظمي لوقا جرجس، المشهور باسم نظمي لوقا (١٢٣٩-١٤٠٨هـ) = (١٩٢٠-١٩٨٧م)، وكان زوجاً للأديبة المعروفة صوفي عبد الله، وهو من مواليد مدينة دمنهور

بالبحيرة، وتوفي في القاهرة، وقضى حياته في مصر. ودرس الآداب، قسم الفلسفة (١٩٤٠م)،



وقد انعطف نحو دراسة الإسلام وتاريخه، وبعض كتبه يتعاطف بصورة عظيمة مع نبي الإسلام - صلى الله عليه وسلم - منها: «محمد: الرسالة والرسول»، و«محمد في حياته الخاصة»، و«عمرو بن العاص»، و«أبو بكر حواري محمد»، و«أنا والإسلام»، و«وأمحمداه».

وترجم عدداً كبيراً من روايات تولستوي وديستوفسكي وبوريس باسترناك وهنري بوردو ومارسيل بروست وفكتور هوغو وغيرهم.

(٢)

أهم ما لفت نظري في كثير من الروايات التي قرأتها في المجموعة وضوح النزعة الدينية لدى شخصياتها، وهي نزعة إيجابية في كثير من المواضع.

في رواية البؤساء نرى شخصية مسيو ميريل، كاهن إحدى المدن في جنوب فرنسا، يعيش مع شقيقته وهو في





الضعف والقوة، ويقدم مصائر النفوس المنحرفة بما يتفق مع طبيعة ما اجترحته من أخطاء وخطايا، وهو ما نراه في رواية الخاطئة ومجموعة أرواح هائمة. أما مرتفعات ويزرنج لإيميلي برونوتي فهي رواية ضخمة شهيرة في الأدب الإنجليزي، وتقدم حياة الفتى الفجري اللقيط الذي تبنته أسرة بريطانية، لها عاداتها وتقاليدها ونظام حياتها. وفي سلوك هذا الفتى وتحولاته وأخلاقه ما يكشف فكرة الصراع بين الأنانية والقسوة، والحب والخير.

أما الكاتبة فلورنس باركلي فتعالج في روايتها الرومانتيكية وعنوانها المسبحة، (تقع في جزأين، وترجمها نجيب ميخائيل بشارة) حالة الزواج القائم على الإحساس بعدم التكافؤ، وإحساس المرأة التي تبدل لنفسها غير جميلة فترفض شاباً جميلاً أصغر منها بثلاث سنوات، حيث تدرك أن طول المعاشرة لن يلبث أن يفتح عيني الشاب على دمامتها، ولا تجد علة تبديها له سوى صغر سنه وأنه في نظرها (مجرد غلام). وتشدد بها الحسرة والألم وتباريح الحب بعد أن تركت منصة العقد في الكنيسة

وفنية وأدبية للحياة الفرنسية في القرن التاسع عشر.

ويستعرض الكاتب البريطاني الشهير سومرست موم في بعض رواياته وقصصه المطولة مشاهداته في الشرق الأقصى وأرخبيل الملايو والصين بحكم عمله في المخابرات البريطانية في النصف الأول من القرن العشرين. وموم بارع في وصف النفس البشرية في حالات ضعفها وقوتها، ويضع يده على أسباب



إيميلي برونوتي

الخامسة والسبعين، عيشة الزهد والكفاف والتسامح، ويتنازل عن كل ما يملك حتى راتبه الذي لا يبقى منه إلا القليل، ليساعد الفقراء والمتعبين، ونتعرف من خلاله على كثير من النماذج البشرية التي صنعها البؤس في صور شتى، فيغيرها من خلال عطفه وتسامحه وإرشاده الديني، ولا يتوانى هوجو عن الاستشهاد على لسان الكاهن بآيات التوراة والإنجيل حتى لقد هممت أن أكتب مقالاً بعنوان «فيكتور هوجو أديباً إسلامياً» لألفت نظر الرافضين لمصطلح الأدب الإسلامي، والقائلين بضرورة فصل الدين عن الأدب، وأقول لهم: ها هو الكاتب الفرنسي المسيحي يكتب أديباً دينياً من خلال فن جميل.

وفي رواية سوان لمارسيل بروسست يترجم نظمي لوقا الرواية الأولى، وظهرت في ثلاثة أجزاء من هذه الملحة الروائية الطويلة التي تقع في سبع روايات، وأطلق عليها «البحث عن الزمن المفقود»، فيقدم نماذج بشرية تتفاوت في أخلاقها وسلوكها العام ومشاعرها الإنسانية. وذلك من خلال عرض صورة جغرافية وتاريخية واجتماعية

الأساسية من الفرق في الذات والماديات والمظهريات إلى المشاعر والعواطف والروحانيات. وبالمثل في رواية «الكنز» حيث تنتصر للعاطفة على المادة.

ولم تحرم مطبوعات (كتابي) قراءها من تقديم الرؤية النقدية التحليلية لأبرز نقاد فرنسا أندريه مورو، وهو يقرأ بعض الروايات السابقة وغيرها من أشهر الروايات العالمية من خلال سرد قصصي ودراسة أدبية ممتعة وأسلوب شائق.

(٤)

ويمكن القول: إن هناك خطوطاً أدبية وفنية تبرز من خلال هذه الروايات، ولعلها تنسحب على معظم الآداب الغربية الشهيرة في مرحلة العصر الذهبي للرواية؛ إن صح التعبير، وهي مرحلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، ويتمثل بعضها فيما يأتي:

البعد الديني بعناصره المختلفة. الوصف والجزئيات البسيطة والاهتمام باللغة والتشبيهات، وخاصة في تصوير الطبيعة والمعالم السكنية والبشرية. صورة اليهودي في العديد من الروايات.



ستيفان زفايج

مرحلة الخريف، واندفاعاتها نحو تحقيق الرغبة دون أن تعباً بما يحيط بها من التزامات أو واجبات، وقد تصحو متأخراً فتلملم أشلاءها وتعود إلى الجادة مرة أخرى.

هناك روائية اسمها بربارا كارتلاند تكتب الرواية الرومانتيكية بمهارة، وتعالج الصراع بين المادة والعاطفة وتنتصر للأخيرة، وفي روايتها المقتون ترصد تحول الشخصية

رفضاً للزواج أو هرباً منه، ولكنها لا تلبث أن تقوم برحلة حول العالم لتتسنى، وفي مصر تقرأ نبأ فقدان الشاب الذي رفضته بصرة، فتسرع عائدة إليه كي تواسيه، وتخفف عنه مأساته، ويتزوجان. أما الروائية الإنجليزية إيثيل مانين فقد تعاطفت مع الفلسطينيين في روايتها «الطريق إلى بئر سبع»، وعبرت عن محنتهم في اللجوء والتشرد، وعدم قدرتهم على العودة إلى وطنهم في أرض فلسطين نتيجة صراع بين واقع مريع وعواطف وطنية ملتهبة. إن الكاتبة تتحاز إلى الحق الفلسطيني، والشهادة على أرض فلسطين، وترفض الخروج واللجوء جميعاً.

ويعالج ستيفان زفايج بعض الموضوعات الإنسانية التي يمكن وضعها تحت عنوان «حالات خاصة»، ففي رواية «حذار من الشفقة» يقدم مشاعر العجز وأحلام العاجزين وموقف الأقوياء وسلوكهم تجاههم، ويصور النفس البشرية وهي تعاني وتتألم، وتتمنى وترغب، حتى تصل إلى مصائرهما المحتومة.

وفي روايته «الأرملة» و«الأم» يعالج نزوات المرأة، وهي في

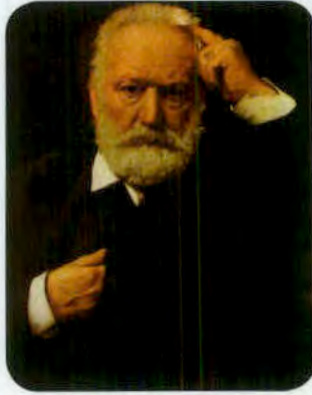


أولاً - الحضور الديني:

لاحظت أن معظم النصوص تحمل الروح الدينية المسيحية ورموزها، ويبدو العديد من الكتاب والمؤلفين متسقين مع هذه الروح دون غضاضة أو سخط، بل هي جزء من السلوك والفكر، حتى لو كان المجال الروائي يعالج مسائل الحب والغرام.

قد يكون السلوك العام في الغرب متناقضاً مع هذه الروح، ولكن الكتاب والروائيين يحملونها بصورة ما، ويعبرون عنها، ويستدعونها - على الأقل - في الشق الشخصي الذي يتعلق بالميلاد والموت والزواج والمواقف الصعبة.

هناك تجد الكنيسة معلماً رئيساً موجوداً دائماً، ورجل الدين الذي يقوم بتعميد الأطفال، وعقد القران بين الأزواج، والصلاة على الموتى.. ثم هناك النصوص التوراتية والإنجيلية التي تتلى في مناسبات شتى، وهناك من يجعل رجل الدين رمزاً لحل مشكلات المأزومين والبائسين. ولم تكن رواية البؤساء لفكتور هيغو إلا تعبيراً عن دور رجل الدين المسيحي في تغيير الحالة الفكرية والسلوكية لأفراد المجتمع من الحالة السلبية إلى الحالة الإيجابية.



فيكتور هيغو

رواية البؤساء - والصواب أنها تجمع جمعاً سائماً «البائسون»، ولكنه خطأ شائع - ترجمت مبكراً إلى العربية أكثر من مرة، وأشهر هذه الترجمات ترجمة حافظ إبراهيم في مطالع القرن العشرين. ويكشف الاهتمام العربي بها عما تحمله من رؤية إنسانية ومسيحية تتعاطف مع المظلومين والفقراء والتعساء الذين ظلمهم المجتمع وقسا

عليهم، ووضعهم في موضع البؤس والفقر. وفي الوقت نفسه تصور مادية المجتمع الغربي، وأنانيته المفرطة، واهتمامه بالقيم المادية، وبعده عما يعرف لدينا - نحن المسلمين - بالمروءة والشهامة والالتزام الخلقي.

وتقدم الرواية رجل الدين مسيو ميريل أو الأسقف بنيفتي الشخصية الأساسية في البؤساء موسوماً بالتواضع والفقر مع أن منصبه يهيئ له دخلاً كبيراً مما جعل حالة المتملقين تختفي من حوله.

إنه زاهد ينفق كل ما يحصل عليه من منصبه، منغمساً في أعمال الخير والبر. أيامه حافلة بالصلاة وإقامة المراسم الدينية، وتوزيع الصدقات، وتعزية المنكوبين، وزراعة ركن من الأرض في بيته، بالإضافة إلى أداء واجبات الإخاء والضيافة، وإنكار الذات، والثقة والدرس، والعمل الدائب مع التقشف العام.

كانت أيامه ملأى حتى الحافة بالأفكار الطيبة، والأقوال الطيبة، والأعمال الطيبة، ولكنها لم تكن تكمل على ما يهوى ويجب.

كان يفكر في عظمة المثل بين يدي الله، وفي الأبدية المقبلة وأسرارها الغريبة، وفي الأزلية

الدينية من قبيل: «تعالى أيتها الروح الخالقة» المقطع الختامي لترنيمة تقول: «أبعد عنا أعداءنا.. وهب السلام للوطن. وحيث تكون مرشدنا، فلن يكون ثمة مرض.»^(٢) أو ما نراه في هذه الأنشودة التي ترددها شخصية جارت في الرواية ذاتها:

**«انقضى الصباح الوضاء،
واستنفذ سريعاً مكنونات
مخزونه الذهبي..**

**وبدأت ظلال النهار المرتحل..
تزحف من جديد..
ما حياتنا سوى فجر يولي
الأدبار..**

**لا يلبث ضحاه الوهاج أن
ينقضي سراعاً..**

**فاهدنا يا يسوع - حين
ينفض عنا الجميع - إلى موطن
الآمان، أخيراً،**

**حيث يتشح الملائكة ببياض لا
شائبة فيه،**

**ولا تهبط ظلال الغروب
أبداً.. حيث أنت،**

**يا نور الأنوار الأزلي.. يا رب
الجميع»^(٣)**

وتقتبس إيثيل مانين نصوصاً توراتية وإنجيلية في سياق معالجة الصراع بين اليهود الغزاة والفلسطينيين الضحايا الذي تصوره روايتها «الطريق إلى بئر سبع».

إلى الكاهن، كرر الكاهن المحسن موقفه النبيل، وزعم للشرطة أنه أعطى الشمعدان والأواني للسارق بمحض اختياره هدية تعينه على مواجهة الحياة فأطلقت سراحه. وتستمر الرواية في رصد التحولات التي تطرأ على الشخصيات، وصراع البؤساء مع المجتمع وقوانينه الظالمة، وأوضاعه المتردية، وعدم معالجته



لضحاياه بطريقة إنسانية تتفق مع منهج الأسقف الطيب.

لا تغيب الروح الدينية المسيحية عن المناسبات المختلفة التي تمر بالشخصيات حتى في أكثر الروايات رومانتيكية كما نرى في رواية المسبحة، مثلاً نجد الأدعية المتجهة إلى الله مفعمة بهذه الروح، فضلاً عن الترнимات

الماضية وأسرارها الأعجب.. هو ليس رجل مذهب فكري، بل رجل أعمال بر ومحبة ورحمة.. ولئن كان هناك من يشتغلون باستخراج الذهب، فقد كان هو مشغولاً ومنشغلاً ليل نهار باستخراج الرحمة.. وكانت التعاسة الكونية منجمه الكبير، فكل مذهبه يتلخص في هذه الآية: «أحبوا بعضكم بعضاً»^(١).

لقد عاش الأسقف الذي تولى منصبه عام ١٨٠٦م، في إحدى المدن جنوب فرنسا على طريق (طولون - باريس) مع شقيقته الأنسة، وهو في الخامسة والسبعين من عمره، ويزوره أحد الأشخاص ويدعى «جان فالجان» الذي قضى في السجن تسعة عشر عاماً، عقاباً له على سرقة رغيف من الخبز، وعلى محاولاته المتكررة للفرار من محبسه. وبعد الإفراج عنه يعجز عن العثور على عمل أو مأوى بسبب صحيفة سوابقه التي وقفت حجر عثرة في طريق توبته واندماجه في المجتمع. فلما فتح له الأسقف باب بيته وآواه وأطعمه عض اليد التي أحسنت إليه فسرق الشمعدان والأواني الفضية من بيت الكاهن تحت جنح الظلام، وحين ضبطته الشرطة وأعادوه



بأجوائها العامة، والاهتمام بالتفاصيل الدقيقة..

وقد استعانوا على ذلك بالتشبيهات والاستعارات في تقديم صور جزئية و كلية تساعد على إبراز الفكرة التي يريدون، أو المشهد الذي يصورون.

ويمكن القول مثلاً: إن سومرست موم كان يحرص على تصوير المشاهد العامة، والجو الذي تعيشه الشخصية جغرافياً ونفسياً وذهنياً، كما نرى مثلاً في الروايات والقصص التي كتبها عن جنوب شرقي آسيا، وهي في زمانه كانت تعد من الأماكن البكر التي لم يكن العالم يعرف عنها شيئاً كثيراً، وإن كان تطور المواصلات والاتصالات ووسائل الإعلام قد أسهم في تعريف الناس بهذه البيئة، وتقديم ملامحها الدقيقة جغرافياً وبشرياً وتاريخياً واجتماعياً.

في قصة «أرواح هائمة» يصف سومرست موم حركة السفينة في أحد الأنهار ومن حولها الطبيعة والبيوت في الملايو (جزء من ماليزيا الآن)، فيقول:

«وكانت السفينة عندئذ تمخر النهر، وشوهدت عند مصبه قرية للصيادين قائمة على أعمدة في وسط الماء، وقد اكتسى

مع تفاوت صلتهم بالعقيدة الإسلامية، حتى لو آمن بعضهم بعقائد مادية لا تؤمن بالوحي.

(٥)

ثانياً - تهتم الرواية الغربية عموماً بما يمكن تسميته الوصف والتصوير، فالكاتب الروائي عادة يحرص على نقل المكان والزمان والشخصيات والأحداث إلى القارئ بتفاصيلها الدقيقة ليكون القارئ على صلة كاملة بالموضوع الذي يقصه أو يحكيه.



ويمكن القول: إن الأدباء الغربيين اهتموا بوصف الطبيعة، ونقلوها إلى القارئ، وكأنهم يصورونها بآلة تصوير دقيقة لتشكل ما يمكن تسميته بشرط سينمائي مكتوب يجسد الحكاية التي يحكيها المؤلف، وتراوح اهتمامها بين نقل المشاهد

ويرسم سومرست موم جيداً المشهد الذي تصنعه الراهبات إسهاماً في معالجة مصابي الكوليرا بالدير الذي يعيش فيه بأحراش جنوب شرقي آسيا، بما يثير التعاطف معهن، وتقديرهن إنسانياً.

وتتواتر عناصر الروح الدينية في معظم الأعمال الروائية والأدبية الأخرى التي طالعها في هذا الصنف، وتبدو طبيعية للغاية في السياق الروائي الفني الذي ينحاز إلى القيم الدينية المسيحية والخلقية، ولا يتذمر نقادنا العرب من وجود هذا الأدب، ولا يفعلون بسببه ويتهمون به بأنه أدب وعظي، أو أدب طائفي، أو أدب ديني، أو غيره من مصطلحات يرمون بها من يتكلم - مجرد كلام - عن الأدب الإسلامي.

لاريب أن هناك تأثيراً كبيراً لعقيدة الكاتب أيّاً كانت في عمله وأفكاره، وتصورات شخصياته، ورؤيتهم للحياة والواقع والطبيعة وما وراء الطبيعة، حتى لو كانت هذه العقيدة إلحاداً أو عدم الإيمان بوجود خالق!

من ثم، يجب أن نؤمن بوجود أدب إسلامي، وأنه قائم في تعبير الكتاب والأدباء المسلمين

مع وصف الأحداث التي تبدو هامشية يؤكد على قدرة الكاتب في التتبع من خلال قوة ملاحظته وحرصه على نقل الصورة التي يرسمها برتوشها جميعاً..

لنقرأ بعض السطور من ملحمة البحث عن الزمن المفقود (رواية سوان):

«وقررت فرانسوا أن الجو أبرد من أن نقف فيه، لذا مشينا إلى جسر الكونكوردي كي نرى نهر السين الذي تجمد، وصار الجميع حتى الأطفال - لا يتهيبون المشي فوقه، وكأنهم يمشون فوق ظهر حوت هائل يرقد بلا حراك ولا قدرة له على الدفاع عن نفسه، في انتظار أن يقطعوه إرباً. ورجعنا إلى الشانزلزيه، وقد استولت عليّ التعاسة بين الأحصنة الخشبية الساكنة والمرج الأبيض وسط شبكة من الدروب السوداء التي أخليت من الجليد، بينما التمثال الذي يعلوها يمسك بيده مدلاة طويلة من الثلج وكأنها تفسر إيماءاته، والسيدة العجوز نفسها قد طوت صحيفتها وسألت مربية عابرة عن الساعة، ثم شكرتها بقولها: ما أكرمك!»

ثم رجعت الكناس أن يطلب إلى أحفادها الحضور إليها لأنها شعرت بالبرد، ثم قالت له: وألف

في مدها وجزرها، والأشياء الصغيرة المتناثرة في الغرف والشوارع والحدائق، فضلاً عن تكوين الشخصيات وملاحمها وسماتها...

ومارسيل بروسست يبدو الملهم الرائد لنجيب محفوظ في اهتمامه بالتفاصيل في رواياته، مع أنه اهتم في الموضوع بالواقعية النقدية التي وجدها عند بلزاك وشارلز ديكنز. ويمكن القول: إن الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة



مارسيل بروسست

الشاطئ بالنخيل وأنواع أخرى من الأشجار، امتدت وراءها غابة كثيفة. وظهر في الأفق شبح جبل يرتفع إلى السماء الزرقاء.. وأثار «نييل» هذا المنظر، فأخذت ضربات قلبه تشتد، وهو يستوعب هذه الصورة الرائعة بعينه.. واستولت عليه الدهشة، إذ كان يتوقع أن يرى أرضاً محفوفة بالأسرار، ولكنه لم يكن يتوقع أن يرى هذه السماء الزرقاء الصافية، ولا السحب البيضاء القليلة الظاهرة في الأفق، وكأنها أشعة سفن ساكنة لا حركة فيها، تتجلى تحت أشعة الشمس.. وكانت الأشجار الخضراء في الغابة متألفة تحت الضوء الساطع، وقد تناثرت بيوت الملايو ذات السقوف المغطاة بالغاب، وقبعت في أحضان أشجار الفاكهة. ورأى نييل الأهالي في قوارب صغيرة، يجدفون وهم وقوف. ولم يخامره أي شعور بأنّه اكتئاب، بل شعر في هذا الصباح المشرق بالحرية، وأحس بالفضاء الواسع....^(١).

ويبدو الاهتمام برصد التفاصيل الصغيرة واضحاً بشكل بارز في سرد مارسيل بروسست؛ إذ يبدو اهتمامه بها مبثوثاً عبر الصفحات في وصف المكان والزمان، وحركة النفس البشرية



شكر لك، وكم يؤسفني أن أكبدك كل هذه المشقة؟

وفجأة انشقت السماء شطرين: فبين القراقوز والأحصنة الخشبية، وعلى صفحة الأفق المتكشف رأيت لتوي علامة إعجازية هي ريشة قبة «الآنسة»، وها هي جيلبرت تجري بأقصى سرعتها نحوي، متألئة وردية اللون تحت قلنسوة مطوقة بالفراء، وقد أتعبها البرد، واستثارها في الخروج وتلفها على اللعب. وقبل أن تصل إلي أنزلت فوق قطعة الثلج.....»^(٥).

(٦)

ثالثاً - تبدو شخصية اليهودي في الروايات التي طالعها غير سوية أو غير طبيعية في سلوكها العام. ومع أن من يتناولها من المؤلفين ينتمي إلى ديانة غير إسلامية أو قد يكون يهودياً، فإن صورة اليهودي تظهر عدوانية، أو انتهازية، أو فيها من الخبث أكثر مما فيها من البوضوح والنقاء.

تصور إيثيل مانين في الطريق إلى بئر سبع وحشية اليهودي وهو يحتل أرض فلسطين، ويقتل أهلها، ويطردهم خارج ديارهم وأرضهم، وتقدم نماذج بشعة للسلوك اليهودي في عديد من المواقف تخرجه من طبيعته الإنسانية أو البشرية.

أما ستيفان زفايج فإنه يتسلل إلى داخل النفسية اليهودية، ويكشف ميلها إلى الخداع والمخاتلة والكسب المادي بكل السبل، ومن خلال شخصية الأب في روايته «حذار من الشفقة» نجد السيد «كانيتز» الذي تحول إلى «الهيرفون كيكسفايا»، وصار من كبار الشخصيات في المنطقة

وكان ستيفان زفايج أراد أن يعاقبه على خداعه فجعل فتاته الجميلة وهي في العاشرة تصاب بمرض يقعدها عن الحركة بعد وفاة أمها يستمر سنوات طويلة مريرة، وتعرض بعدها لنهاية مؤلة تعصف بكيانه ومستقبله.

ستيفان زفايج من الكتاب الذين رفضوا الحرب ونازية هتلر مما اضطره إلى الهرب إلى لندن، فالولايات المتحدة، فأميركا الجنوبية، حيث كانت نهايته المأساوية في البرازيل عام ١٩٤٢م، بعد أن يؤس من الواقع الذي تمر به بلاده وأوروبا والعالم..

ولكن ضميره الحي فيما يبدو كان أقوى من تعصبه لبني جلدته وأتباع ديانته، لدرجة أنه كان يقول: لقد كنت يهودياً بالصدفة. أما مارسيل بروست - وهو نصف يهودي - فقد صور شخصية اليهودي سوان بطل الرواية الأولى «البحث عن الزمن المفقود» في صورة شبه غامضة،



التي يعيش فيها، يمارس ألواناً من الحيل والخداع حتى دخل نادي الأغنياء. كان يعمل بالسمسرة والوساطة في تجارة التحف والعاديات والتأمين عليها حتى وقع على فرصة نادرة استطاع من خلالها أن يخدع خادمة وريثة لإحدى الأميرات الروسيات، فيستولي على ضيعتها بثمان



في الأغلب الأعم عن السلوك والأخلاق والقيم، فمازال المجتمع الغربي يتمسك بقيم العمل والنظام والنظر إلى العلاقات الإنسانية من خلال قيم عليا وأخرى هابطة، ويرى أن هناك نظاماً اجتماعياً يرفض ما يحط من شأن الإنسان السوي، وإن كان لا يتدخل في شؤون الآخرين إلا بمقدار ما يفرضه القانون ■

وإن كانت الحكومات الغربية الآن تتخذ مساراً آخر يتفق مع مصالحها وسياساتها.

(٧)

لاريب أن قراءة الرواية الأوروبية في نماذجها الجيدة تكشف كثيراً من ملامح الحياة الأوروبية وطبيعتها بعيداً عن البهرجة الإعلامية، وما ينقله الإعلام من مشاهد سلبية

وإن كان يتحرك في المجال الاجتماعي حركة رتيبة يحصر من خلالها على مشاركة الآخرين بانتظام، ويبدو أقرب إلى الأنانية والشك والسعي لإشباع طموحاته دون تضحيات في سبيل الآخرين! ولعل هذه الصور المتشابهة لليهودي في روايات كبار الأدباء الغربيين تكشف عن المشاعر الحقيقية للأوروبيين تجاه اليهودي،

الهوامش:

٥٢، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، د.ت. ص ٢٦.

(٥) مارسيل بروت، غرام سوان، ترجمة:

نظمي لوقا، كتابي ٢٣، المؤسسة العربية

الحديثة، القاهرة، د.ت. ص ٣/١٩٤.

ميخائيل بشار، المسبحة، المؤسسة

العربية الحديثة، القاهرة، عدد ٥٤،

د.ت. ص ٢/١٢٠.

(٣) السابق، ص ٢/٢٨٨.

(٤) سومرست موم، أرواح هائمة، كتابي

(١) فيكتور هيجو، البؤساء، ترجمة

نظمي لوقا، مطبوعات كتابي، عدد ٨،

المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة،

د.ت. ص ٧٩ - ٨٦ / ١.

(٢) فلورنس باركلي، ترجمة نجيب